ثبوت القدمين

فى

سؤال الملكين

للعارف الكامل. مجمع الفضل والكمالات. ومطلع
الفيض والبركات. وشيخ الطريقه. ومعدن الحقيقه.

مولانا الشيخ عبد الغنى النابلسى

قدس الله روحه. وافاض علينا بره
ونفعنا ببركة أنفاسه أمين

صححه وراجع أصوله ونشره

محمود شكر

(الطبعة الاولى)

مطبعة ومدرسة تجليد الأنوار ٢ شارع البلكجى بالغورية رقم ١٨ مصر.

ثبوت القدمين

فى

سؤال الملكين

للعارف الكامل. مجمع الفضل والكمالات. ومطلع
الفيض والبركات. وشيخ الطريقه. ومعدن الحقيقه.

مولانا الشيخ عبد الغنى النابلسى

قدس الله روحه. وافاض علينا بره
ونفعنا ببركة أنفاسه أمين

……

صححه وراجع أصوله ونشره

محمود شكر

(الطبعة الاولى)

مطبعة وورشة تجليد الأنوار شارع البلاطه بالغورية رقم ١٨ بمصر.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

قد أعاننا الله سبحانه وتعالى على طبع هذه الرسالة التى بين يدى القارىء، وهى كما يرى لاغنى عنها لكل من يريد أن يقف على ماوراء هذه الحياة الدنيا من نعيم وشقاء وما سيتكبده المرء من مشقات وأهوال أحب الأشياء اليه أن يتجنبها ويتقيها .

وقد بذلنا فى تصحيحها مجهوداً عنيفاً . وتحرينا فى ضبطها الدقة . وراعينا أمانة النشر خشية أن نتورط فى الأغلاط، وجعلنا كعبتنا فى مشروعنا الذى أعددنا له أهبته فى نشر الرسائل التى بين أيدينا اجتناء الثواب . ورضوان الله ، والله لايضيع أجر من أحسن عملا .

وإننا لنتقدم إلى مولانا عز وجل بالحمد والثناء على أن هيأ لنا الأسباب التى تساعدنا على القيام بواجبنا نحو ديننا ، وليس هناك أنفع للدين من إذاعة الرسائل التى توضح للناس أمور دينهم من عقائد ومعاملات ، وغير ذلك مما لاغنى للناس عنه فى الدنيا والآخرة والله ولى التوفيق

محمود سبكر

بسم الله الرحمن الرحيم

بشرى نزفها إلى القراء الكرام ، وكل مسلم غيور على دينه ، محب لسلفه الصالحين ، فقد شرعت مكتبة الأنوار فى إبراز أعظم كتاب فى تاريخ الصوفية ومناقبهم وما يتعلق بهم طبقة بعد طبقة من مبدأ الاسلام إلى آخر القرن العاشر الهجرى ، سواء أكانوا من قطان مصر أم من غيرها من سائر الاقطار ،

فهو أجمع كتاب وأحفله بالآثار وحسن الاختيار ، وناهيك بأن الكواكب الدريه فى طبقات السادة الصوفيه ، وذيلها المسمى (إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن) لمولانا محى العلوم والمعارف ، نادرة زمانه وفخر أوانه المحقق الجهبذ الشيخ عبد الرؤف المناوى مدرس الحديث بالمدرسة الصالحية بمصر ، وقد جعلنا الاشتراك فى النسخة بأكملها بالغة ما بلغت من الأجزاء أربعين قرشا فنلفت إلى ذلك الانظار

بسم الله الرحمن الرحيم

من أقل الاخوان . وأحقر أبناء الزمان . عبد الغنى بن اسماعيل النابلسى الحنفى الدمشقى . لطف الله تعالى به والمسلمين إلى أخيه فى الله تعالى الشيخ رمضان القاطن فى ولاية عينتاب المحروسة . جمع الله تعالى بينه فى دار كرامته . وشملنا واياه بلطائف رضوانه ورحمته

اما بعد فانى احمد الله تعالى اليك على العافية واشكره على نعمه الوافرة الوافية . وسلام الله تعالى ورحمته وبركاته عليك . وعلى كل من احبك وانتمى اليك . وقد صحبتك يأخى أوقاتا فى مدة اقامتك فى ديارنا . وزرتنا وزرناك وانا اخشى ان الله تعالى يسألنى عن صحبتك فى يوم القيامة وما يجب على من الحقوق فيها ه

ومراسلات الاخوان على الطريقة الادبية كما هو المشهور امر سئمنا منه . اذ هو لا ينفع ولا يجدى شيئا : وانا اريد أن أراسلك على طريقة السلف الماضين فى بذل النصيحة والاعانة على الدين . وهذا فى الحقيقة شيء أخاطب به نفسى لانها دونك بيقين . ولكن العذر اليك فى قلة بضاعتى . والله الموفق إلى حقيقة الحق المبين .

ولقد علمت يأخى انك مشغول فى بلادك فى مناصحة الاخوان من الموحدين والحماية عن هذا الدين المتين . فالله تعالى يمدك فى سعيك المشكور . وينفع بك اهل تلك البلاد ويزيد لهم الاجور .

فعليك يا أخى بالامتثال لأوامر الله تعالى ونواهيه فى باطنك وظاهرك واحذر أن تتساهل فى شىء من ذلك طمعا فى عفو الله تعالى وكرمه . فان هذا باب من أبواب المكر . وانصح اخوانك بنية خروجك من عهد أمر الله تعالى لك بذلك . ولا تبق من بذل الجهد شيئا مخافة مقت من الناس . أو مراعاة للخواطر الدنيوية . فانه لايخفاك ان الكل بيد الله تعالى . ولله در القائل : —

اعمل لوجه الله واحد * يكفيك كل الأوجه

وأنت تدرى ماورد فى حق كتم العلم النافع من المأثم . ومن علم فى اخوانه المسلمين عيبا شرعيا وكتمه عليهم ولم ينصحهم فيه سراً أو جهراً على لسان العموم كان خائنا لهم غير ناصح . واعلم ان الله تعالى سوف يسألك عنهم كما أنذرك الصادق ﷺ بقوله (كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته .)

واحذر ان تطلب منهم فى نصيحتك لهم محمدة عندهم تخطر فى قلبك . أو تكون لك عليهم منزلة . أو تقصد مدح نفسك عندهم بما تفهمهم من براءتك عن امورهم التى تنصحهم فيها . وتحقق أن شيئا من ذلك إذا خطر لك فهو وسوسة من عدوك الشيطان يريد أن يزيدك بما تتساهل فيه واعلم ان المتكلم على الناس بالنصيحة والتعليم من صفات الانبياء والمرسلين فانظر كيف تتأدب بآداب من انت قائم مقامه فى امته . ولهذا ورد أن العلماء ورثة الانبياء . وقد ورد عن سهل بن عبدالله التسترى انه قال من اراد النظر إلى مجالس الانبياء فلينظر

إلى مجالس العلماء. فاعرف ذلك لهم . واحذر ان تكبر نفسك بسبب ذلك على من يحضرك فانها مهلكة واعلم انه لافرق بينك وبين الحاضرين لديك غيران الله تعالى خلق فيك ما يظهر منك لهم من النصيحة بعد ان خلق فيك أرادة واختيارا لذلك فانت مخلوق كالك لله تعالى اختيارك وقولك وعملك والفضل لله تعالى عليك فى خلق ذلك لك . لا الفضل لك على غيرك إلا بجعل الله تعالى لا لاستحقاقك. ومما يتعين عليك أن تكون لجماعتك الحاضرين عندك فى هذه الحياة الدنيا التى يمكن فيها تحصيل كل خير . قبل ان يحال بينهم وبين السعى المرضى لله تعالى بالموت فى منزلة منكر ونكير اللذين هما رسولان من الله تعالى لفتنة الميت فى القبر. فان هذا أمر كائن لا محالة فعساهم ينتهون من سكر الدنيا ويستيقظون من نوم الغفلة ويتخلصو بعض التخلص من اسر الدرهم والدينار فتقول لكل واحد منهم كمقالة الملكين الكريمين وانت تعتقد فيهم الخير والصلاح ولكن من قبيل قوله تعالى (فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى) .

يأيها المؤمن الموحد من ربك . ومن نبيك . ومادينك . وإن لم تسمع ذلك منى وانا مثلك ومن جنسك وأنت فى فسحة متى تعلم ذلك وفى مهلة من جانبى . وإلا ستسمع ذلك من شديدين غليظين لا يمهلانك . ولا يصبران عليك ولا ساعة. بل ولا لمحة. فانظر فى امرك ماذا ترى .

ثم قرر لهم ذلك ياأخى بلسانك المخصوص المفهوم بينك وبينهم وبين لهم حقيقة الجواب عن الاسئلة الثلاثة وفهمهم ذلك حتى يحصل المعنى فى روحانياتهم . فينتفعون بذلك فى عالم القبر . فان النفوس تنطق فى ذلك العالم الحق بما فيها . لايمكنها غير ذلك . والحفظ اللسانى لاينفع فى ذلك العالم . لان بالانتقال من عالم الدنيا ينقطع الحكم بالظاهر ويبقى الحكم بالسرائر

ونحن نقرر الجواب عن الاسئلة الثلاثة على وجه الاختصار فنقول (أما السؤال الاول) فهو قول الملكين: من ربك . ومرادها الاختبار عن معرفته المعرفة الصحيحة . وبيانها على طريقة أهل السنة والجماعة الذى هو المذهب الحق الموافق لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ واجماع السلف الصالحين . وهو المطابق أيضا للبراهين العقلية. وعليه جاء الفتح الآلهى بالالهام لاصحاب الالهام . فهو المطابق لحقيقة الامر من غير شك ولا ريب. وماعداه زيغ محض وضلال صرف . وكفر صراح . وذلك ان الرب الذى نعبده معاشر المؤمنين لم يعرفه أحد ولايمكن ان يعرفه ابداً الا معرفة المرتبة والمنزلة لا معرفة الكنه والادراك للذات فغاية ما يمكن ان يعرف المخلوق ربه (أى مخلوق كان) سواء كان نبيا أو ملكا أو مؤمنا من الخاصة أو العامة أن يعرف مرتبته. ويعرف ماينبغى ان يكون عليه جل وعلا من الصفات ليس غير

ولكن لما تفاوت العلم بالمرتبة تفصيلا واجمالا. وقوة وضعفا . تفاوتت العالمون بذلك . فليس علم النبى والملك كعلم غيرهم. ولهذا قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم الذى هو أعلم الخلق كلهم

بيقين (وقل رب زدنى علما).

فلو حصل له صلى الله عليه وسلم علم بكنه ذات الله تعالى لما قبل علمه الزيادة أصلا . ولكن لما كان علمه بالمرتبة الآلهية. وهى بالنسبة إلى الخلق قليلة الزيادة . طلب منه ان يطلب الزيادة من ذلك .

ومن المعلوم ان المراتب ثلاثة : الاولى مرتبة الوجود الحق. والثانية مرتبة الوجود الخلق . والثالثة مرتبة العدم الصرف. وهذه المراتب الثلاثة متميزة غاية التمييز . لايمكن أن يكون فى كل مرتبة منها شىء من المرتبة الأخرى ابدا.

فليس فى الوجود الحق . والوجود الخلق شىء من العدم . ولا فى العدم شىء من الوجود الحق والوجود الخلق . فاذا كان الامر كذلك كانت معرفة الوجود الخلق بالوجود الحق معرفة من جنس الوجود الخلق لانها صفة للوجود الخلق . لاهى من جنس الوجود الحق فيبقى تسميتها معرفة وأنها مطابقة للمعروف مجرد حكم آلهى : لقوله تعالى (لايكلف الله نفسا إلا وسعها) .

ولاشك ان التحسين والتقبيح عند أهل السنة شرعيان لاعقليان كما هو مفصل فى علم الاصول . وليس بين الخالق والمخلوق قدر مشترك يعرف كل واحد منهما الآخر به . ولا مطلق الوجود. لانه واجب فى الخالق · جائز فى المخلوق . وشتان بينهما .

فكما ان الله سبحانه وتعالى يعرفنا معرفة قديمة ليست كمعرفتنا بانفسنا لان معرفتنا بانفسنا مخلوقة مثلنا . ومعرفته تعالى بنا قديمة من قبل ان نخرج من عدمنا . كذلك نحن نعرف الله

تعالى معرفة حادثة . لائقة بنا ليست كمعرفته بنفسه المعرفة القديمة .

فتخلص من هذا ان عندنا منه معرفة حادثة . وعنده منا معرفة قديمة . والمعرفة القديمة أعلى من المعرفة الحادثة . ولهذا لايخفى عليه شيء منا . وتخفى علينا أشياء منه ومنا . وذلك لان الحادث لايشبه القديم ولا بوجه من الوجوه . لانهما حقيقتان متباينتان كل التباين لا يجتمعان في جنس ولا فصل .

فاذا تقرر هذا فنبه يا أخي إخوانك من المؤمنين ان جميع ما خطر على خواطرهم من حين ادركوا الدنيا الى يومهم هذا انما هو أشياء مخلوقة فقط . وما خطر الخالق على بالهم أبدا . ولا يمكن أن يخطر لما قدمناه

وقد نقل عن أبي اسحاق الاسفرايني رحمه الله تعالى وكان من أهل السنة والجماعة أنه كان يقول جمع أهل الحق جميع عقائدهم بالله تعالى في كلمتين كل ما خطر في بالك أو توهمه عقلك فالله على خلاف ذلك . وان الله تعالى ذات لاتشبه الذوات . ولا معطلة عن الصفات والحاصل ان جميع ما يعلمه المخلوق مخلوق . غير أن الذي يعلمه المخلوق منقسم الي قسمين . قسم هو مرتبة الخالق ومرتبة صفاته بحسب ما هو عليه المخلوق . وقسم هو مرتبة المخلوق ومرتبة صفاته أيضا بحسب ما يمكن المخلوق . والقسم الاول الذى هو مرتبة الخالق ومرتبة صفاته بحسب ماهو عليه المخلوق . يفترض على كل مكلف معرفته .

وبيان ذلك بحسب مايمكننا على مقتضى مانعبد ربنا بذلك أن

نعتقد جازمين بلا شك ولا ريب أن الله تعالى له ذات . وله صفات . وله اسماء . وله أفعال . وله أحكام . وان جميع هذه الحضرات الخمسة لله تعالى قديمة أزلية . وجميع ما عند المخلوقات على اختلاف أنواعهم منها غير مطابق لها لمجرد الحكم الالهى الحاكم بالمطابقة فى ذلك فهى عند كل مخلوق غيب مطلق لا يصير شهادة : ولا ينافى هذا رؤية الله تعالى فى الآخرة . فان ذلك عالم آخر غير عالمنا هذا عالم التكليف والالتباس ولنا فيه نشأة أخرى غير نشأتنا فى هذا العالم . فلا نتكلم عليه الآن غير ان نؤمن به فقط . والله مطلع على حقائق الاحوال .

وقد صدرت عن هذه الحضرات الخمسة القديمة هذه المنفعلات التى هى جملة العالم خرجت من العدم وصارت أشياء بعد أن لم تكن شيئا مذكورا . وليس لاخراجها من العدم كيفية بالنسبة اليه تعالى . لان الكيفيات كلها من جملة العالم . فلو كان لاخراجها من العدم كيفية بالنسبة اليه تعالى لكان لاخراج تلك الكيفية من العدم كيفية بالنسبة اليه تعالى ولتلك الكيفية كيفية أخرى ويلزم التسلسل وهو باطل

وكذلك لم تخرج جملة العالم من العدم فى زمان بالنسبة الى الله تعالى لان الزمان إما مدة لحركة أو نفس الحركة . أو متجدد يقدر . به متجدد آخر على اختلاف الاحوال . فالزمان من جملة العالم

وحين أوجد الله تعالى الزمان لم يكن ايجاده ذلك فى زمان والا تسلسل أيضا . وكذلك لم يوجد الله تعالى جملة العالم كله فى مكان

ولا فى حيز لان المكان ما استقر عليه الشيء . والحيز ما ملأ الشيء وهو اما الفراغ المتوهم على قول . أو السطح الباطنى من الحاوى المماس للسطح الظاهرى من المحوى على قول آخر . فالمكان والحيز من جملة العالم .

فلو أن العالم جميعه فى مكان أو حيز لكان المكان فى مكان . والحيز فى حيز ويلزم التسلسل وهو محال . وإذا كان هذا فى جملة العالم وهو حادث فكيف الله تعالى القديم . فهو بالاولى ان لايكون له مكان ولاحيز . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا

واعلم ان الحضرات الخمسة التى لله تعالى المذكورة . وهى حضرة ذاته . وحضرة صفاته وحضرة أسمائه . وحضرة أفعاله . وحضرة أحكامه . كلها ذات واحدة موصوفة بصفات مسماة باسماء صادرة عنها أفعال ولها احكام . وليس فى ذات الله تعالى تركيب ولا تعدد حضراتها يوجب انتفاء وحدتها . أو يوهم كثرتها جل الله عن ذلك

فاما حضرة ذاته تعالى فقد تقدم الكلام عليها . وأما حضرة صفاته فهى كثيرة جدا لاتدخل تحت حصر ولا نهاية . وقد ورد بعضها مصرحا به الكتاب والسنة . وذكر منها العلماء رحمهم الله تعالى جملة فى مصنفاتهم . وذكر السنوسى منها عشرين صفة . وقد جمعت منها ما يزيد على الاربعمائة صفة فى رسالة مستقلة . منها المتشابه والمحكم وافصحت فى شرحى على المقدمة السنوسية عن العشرين صفة التى ذكرها السنوسى وشرحتها

شرحا شافيا . وليس هذا موضع بيان ذلك لأنه شيء يطول ذكره . ومرادنا الاختصار لكم فى هذه العجالة وصفات الله تعالى كلها قديمة أزلية لاهى عين ذاته ولاغيرها .

وأما اسماؤه فهى التوقيفية على حسب ماذكروا الواردة فى الكتاب والسنة ولاتحصى أيضا . ولاتدخل تحت نهاية وقد صنف فيها العلماء المصنفات العديدة ممايطول استقصاؤه . وكلها قديمة ازلية أيضا لاهى عين الصفات ولاغيرها .

وأما حضرة افعاله تعالى فهى كثيرة أيضا لاتعد ولاتحصى وهى أنواع : التكوين للعالم . كالتخليق والترزيق والاعطاء والمنع والاحياء والاماتة والاعزاز والاذلال إلى غير ذلك مما يطول ذكره وكلها عندنا قديمة ازلية أيضا لاهى عين الاسماء ولاغيرها .

وأما حضرة احكامه تعالى فهى كثيرة لاتتناهى أيضا ومنها جميع أنواع الشرائع التى شرعها الله تعالى لعباده كالتحريم والتحليل والتصحيح والافساد ونحو ذلك .

وهى على اقسام ثلاثة : احكام شرعية كما ذكرنا . واحكام حسية كالحكم على الانسان بانه جسم مصور فى صورة مخصوصة . والحكم على الحجر كذلك . وأحكام عقلية كأنواع الحكم العقلى الثلاثة الوجوب والاستحالة والجواز .

وهذه الاحكام بانواعها الثلاثة احكام الله تعالى . والله تعالى حاكم بها من الازل . غيرانها ظهرت عندنا فحكمنا بها على حسب مايليق بنا مما كلفنا به . وكلها قديمة ازلية لاهى عين الافعال ولاغيرها والنسخ والتغيير الواقع فيها على حسب انواعها الثلاثة

مجرد إنتهاء حكم وابتداء حكم آخر من حيث الظهور لا من حيث ذاتها لانها قديمة وكل متغير حادث .

واعلم يا أخى وعلم اخوانك من المؤمنين ان هذا الذى قررناه فى حق الله تعالى هو معرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة التى تنفى الجهالة . فاذا فهمها العبد وتحقق بمعانيها لا حفظ عبارتها فقط من غير فهم وتحقق فان الانتفاع بها موقوف على الفهم لا الحفظ فانه إذا قال له منكر ونكير بعد موته وهو فى قبره من ربك . يمكنه فى ذلك العالم ان يقول الله ربى لوصول معرفة الله الى روحه بالفهم والتحقق . وأما إذا لم يفهم العبد ما قلناه وشرحناه واعرض عنه أو جحده وانكره فاذا قال له الملكان من ربك لا يمكنه ان يقول ما ليس عنده وانما يقول لا ادرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلت مثله على حسب ما ورد به الحديث الشريف . لان معرفة الله تعالى بعيدة عنه . وانما هو عابد أوهامه وتخيلاته التى الله تعالى برىء منها وهى ظن السوء بالله تعالى . فعند ذلك يشتعل عليه قبره ناراً ويتخلد فى العذاب مع الكافرين نعوذ بالله من ذلك .

فتنبه يا أخى ونبه اخوانك المؤمنين لمثل هـذه الورطة . وليكونوا مستعدين بحسن الاعتقاد لهذه العقبة الصعبة . فان من كان يعتقد فى ربه شيئا مما يخطر فى خاطره فهو مشبه . وكل من كان يعتقد ان الله تعالى فى مكان أو هو فى جهة من الجهات أو فى الجهات فهو مجسم . وكل من كان يعتقد ان الله تعالى فى شىء من العالم فهو حلولي . وكل من كان يعتقد ان الله تعالى

متولد من شىء أو متولد منه شىء فهو الحادى ومتى خطر شىء من ذلك فى قلب المؤمن ولم يقبله لقوة معرفته بربه معرفة دليل عقلى أو بقلب مطابق جازم لا يضره ذلك الوسواس بل هو جهاد معه فله أجر المجاهد ومتى قبل شيئا ذلك ورضى به ونسب اليه كفر والعياذ بالله تعالى

ولو أهمل نفسه ولم يفتشها فى هذه الحياة الدنيا التى يمكن فيها اكتساب كل خير والتخلص من كل شر فيحتمل أنه يعتقد فى الله تعالى ما يعتقده أهل الضلال والزيغ وهو لا يشعر كمن يعتقد أن الله فى السماء أو انه جسم أو أن له مكانا ونحو ذلك مما فشا الآن بين العامة من الرجال والنساء فى غالب البلاد . فترى تلتبس عليه نفسه ما ليس عندها فيحسن ظنه بها ويخاصم كل من نصحه فى عيوبها . فان النفس بيت الشر وذكر الامام القشيرى فى رسالته ان جميع المشايخ أجمعوا على أن النفس لا تصدق والقلب لا يكذب فيكون من هذا حاله منافقا يظهر الايمان فيقول آمنت بالله الى آخره . ويتكلم بالشهادتين ومع ذلك يعتقد فى الله تعالى المكان والجهة والجسمية وهو محسن ظنه بنفسه . فيضمر الكفر ويظهر الايمان كما قال تعالى (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) وهذا مقدار ما يجب على من النصيحة لامة محمد ﷺ . قال تعالى (وقل الحق من ربك فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

(وأما السؤال الثانى) فهو قول الملكين ومن نبيك . ومرادهما الاختبار منه عن ايمانه لمحمد ﷺ وتصديقه بمقام النبوة وهذا يحتاج الى البيان . فنقول والله المستعان :

اعلم ياأخى أن الايمان بالنبوة ايمان بالغيب عند العقول الصحيحة ولو فى حق الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين الذين رأوا النبى ﷺ. لانهم ما رأوا إلا ظاهره وآمنوا بباطنه ايمانا بالغيب وليسوا بانبياء حتى يطلعوا على هذا الغيب . ولا فرق بيننا وبينهم الا من حيث رؤيتهم ظاهر النبى ﷺ ولهم الفضل والشرف علينا بذلك رضى الله تعالى عنهم أجمعين . وبيان كون النبوة غيبا عند العقول الصحيحه (أن أصول الاطوار الانسانية ثلاث) وفروعها لاتتناهى قال تعالى (وقد خلقكم أطوارا)

(فالطور الاول) هو الايمان بالله تعالى واما الايمان بغيره مما يجب الايمان به فهو تابع للايمان بالله تعالى وهذا الطور الذى هو طور الايمان بالله تعالى هو التنزيهات العقلية والتسبيحات لله تعالى عن جميع الامور الوهمية على حسب ما قدمناه وهو مقام عامة المؤمنين . ولا ينجو أحد من الله تعالى الا به ولا يدخل أحد الجنة الا به . وهو أول مرتبة من مراتب الاولياء

(والطور الثانى) طور الولاية فوق طور الايمان ولا يصل أحد اليه الا بعد دخوله فى طور الايمان . وهذا الطور الذى هو طور الولاية هو انقلاب حجب الكائنات التى تحجب عن الله تعالى مظاهراً له تعالى ولصفاته من غير أن تتغير عما هى عليه من الامكان والحدوث بحيث تكون البصيرة غافلة عن ذلك . فتستيقظ له وتعلم انها كانت تدركه من قبل على ما هو عليه فيقوى يقينك فى الله تعالى وفى صفاته وأسمائه وافعاله وأحكامه بسبب ذلك . وهذا هو المعبر عنه بالكشف عند السادة الصوفية نفعنا الله تعالى ببركاتهم أجمعين وهو طور المعرفة بالله تعالى معرفة

الكشف والعيان أرقى من معرفته تعالى معرفة الدليل والبرهان التى هى أعلى من معرفة التقليد والاذعان . وفى هذا الطور الذى هو طور الولاية تفهم الخطابات القرآنية والاحاديث النبوية على حسب ماهى عليه من غير زيغ ولا ضلال . وهو مقام خاصة المؤمنين ينالون به المنازل العالية فى الجنان . وهو أول مرتبة من مراتب الانبياء :

(والطور الثالث) طور النبوة فوق طور الولاية . ولا يصير النبي نبياً مالم يصر وليا . كما أن الولي لا يصير وليا ما لم يصر مؤمنا

فهى أطوار ثلاثة بعضها فوق بعض . طور الايمان . ثم أرقى منه طور الولايه . ثم أرقى منه طور النبوة . فالولى مؤمن ولى . والنبى مؤمن ولى نبي

وكل طور من هذه الاطوار الثلاثة مشتمل على أطوار لا تحصى بعضها فوق بعض . ولكن لا تخرج عن ذلك الطور الذى هو أصلها وهى منسوبة اليه فالايمان أطوار بعضها أرقى من بعض والمؤمن لا يعرف الولي لانه فوقه . وانما يحسن ظنه به . ويؤمن به ايمانا بالغيب . وكذلك الولى لا يعرف النبي وانما يحسن ظنه به ويؤمن به ايمانا بالغيب . لانه أرقى منه والادنى لا يعرف الاعلى . فالمؤمن عاجز عما يدركه الولى كما أن الولي عاجز عما يدركه النبي

ونظير ذلك عجز الطفل الصغير عما يدركه المميز . وعجز المميز عما يدركه البالغ الكبير . وكما ان الصغير إلى حد التمييز متفاوت فى الادراك فكذلك الايمان متفاوت فى الدرجات .

وكما ان التمييز متفاوت فى الادراك إلى حد البلوغ فمثله الولاية متفاوتة فى المقامات . وكما ان البلوغ متفاوت فى الادراك إلى سن الكهولة والشيخوخة ومافوق ذلك فنظيره النبوة متفاوتة فى المراتب

فكيف الاطفال يعرفون المميزين . وكيف المميزون يعرفون البالغين وكيف المؤمنون يعرفون الاولياء وقد رفع الله تعالى الاولياء عليهم بأن اعطاهم ما اعطى المومنين وزادهم مقامات القرب فى حضرات المشاهدة وكيف الاولياء يعرفون الانبياء وقد رفع الله الانبياء عليهم بان اعطاهم مااعطى الاولياء وزادهم مقامات الاختصاص فى حضرات غيب الغيب مما لا يعرفه الاولياء فضلا عن المؤمنين. فلا يبقى عند المؤمنين والاولياء من معارف الانبياء الا الايمان بالغيب وهو المقصود فى التكليف بالايمان بالنبوة: والحاصل من لم يكن مؤمنا بنبوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام كايمان الاكمه (الذى ولد وهو اعمى) بالالوان فهو بعد لم يكمل ايمانه بالنبوة . فان الاكمه الذى ولد اعمى ناقص الحاسة التى يدرك بها البصير الالوان وهو البصر. ولا يمكن ادراك الالوان بحاسة اخرى غير البصر من باقى الحواس . وكذلك غير النبى من المؤمن والولى ليس عندهما القوة التى يدرك بها النبى طور النبوة لانهما بغير استعداد لتلك القوة. وليست النبوة مكتسبة حتى يمكن اكتساب تلك القوة بالمجاهدة . والنبى ولد مستعداً لتلك القوة كالجنين يخرج من بطن أمه مستعداً للقوة العاقلة للاشياء . فاذا وصل إلى سن التمييز ظهرت فيه تلك القوة العاقلة فادرك الاشياء : وأما الحيوان فلا يولد مستعداً

لتلك القوة فلا تظهر فيه ولا يعقل الاشياء والاكمه الذى ولد اعمى متى أراد ان يدرك الالوان بحاسة السمع أو اللمس أو الشم أو الذوق لايمكنه ذلك فربما توهم الالوان شيئا مما يدرك بهذه الحواس الاربع واخطأ فكان ايمانه فى الحقيقة بما توهم لا بالالوان .

وكذلك غير النبي إذا أراد ان يدرك النبوة بالحس أو بالعقل ربما توهمها بعقله شيئا من جنس ما يعقل فيخطىء فيكون ايمانه بالذى توهمه . لا بحقيقة النبوة فيموت على ذلك وهو لم يؤمن بالنبوة بعد ، ويلقى الله تعالى غير مؤمن بها فيكفر والعياذ بالله تعالى ولا يشعر .

وانما مثل الاكمه فى ايمانه بالالوان أنه يؤمن بان هنالك اشياء يقال لها الالوان ليست من جنس جميع ما يدركه بحواسه الاربع وعقله وهو عاجز عن ادر اكها عجزا ضروريا . لعدم وجود تلك الحاسة التى تدرك بها فيه ويخطىء جميع مدركاته بيقين من غير شبهة ويؤمن بان الله تعالى خلق غيره من البصراء فيهم تلك القوة الباصرة التى تدرك أى الالوان دونه فيكون ايمانه بذلك إيمانا بالغيب والايمان بالنبوة فى محمد صلى الله عليه وسلم من هذا القبيل . وكذلك الايمان بجميع الانبياء من آدم إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . ولكن لما كان الايمان بهم مندرجا فى الايمان بمحمد نبينا صلى الله عليه وسلم لانه جاء مصدقا لهم كلهم اقتصر الملكان على السؤال عنه صلى الله عليه وسلم بقولهما «ومن نبيك؟»

واعلم ياأخى وعلم اخوانك من المؤمنين أن من لم يكن إيمانه بالنبوة والنبي كما ذكرنا . لايمكنه ان يجيب الملكين عن سؤالهما عن بينة لأنه كان يؤمن بالنبوة على خلاف ماهى عليه . وكان يؤمن بالانبياء عليهم السلام على حد ما هو عليه وهو ليس بنبي . وكان يؤمن بالانبياء عليهم السلام انهم ليسوا بانبياء وهو لايشعر . كما قال تعالى (وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) ، وذلك لتركهم الايمان بالغيب . والله ولى التوفيق .

وأما السؤال الثالث : فهو قول الملكين «ومادينك؟» . ومرادهما امتحانك بسؤالك عما كنت عليه من الدين فى الدنيا . فاعلم ياأخى ان الدين هو مايدين له الانسان . أى يذعن وينقاد . ويطيع ويخضع من الاخبارات اليقينية . والانشاءات الشرعية . قال تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) وقال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

والاسلام . هو الاستسلام والانقياد . فهو والدين بمعنى واحد . والذى يستسلم وينقاد اليه المسلم ويدين ويذعن له صاحب الدين منقسم إلى قسمين اخبارات نفسية نزلت بها الكتب . وأرسل بها الرسل وهى الاعتقادات الصحيحة المطابقة لما هو الحق فى الحقيقة . كخبر وجود الله تعالى ووجود صفاته واسمائه وافعاله واحكامه على حسب ماذكرناه منفصلا فيما سبق وكخبر وجود الانبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة ووجود عصمتهم من صغائر الذنوب وكبائرها . ووجود أمانتهم وتبليغهم جميع ماامرهم الله تعالى بتبليغه للخلق . وكخبر معجزات الانبياء

عليهم السلام كلها، وكرامات الاولياء عليهم الرحمة من الله تعالى والرضوان وخبر الاسراء والمعراج وجميع ماوقع من خوارق العادات

وكذلك الخبر الوارد على ألسنة المرسلين عليهم السلام بمقتضى ما اشتمل عليه كتاب الله من احوال الموتى فى القبور ويوم البعث والنشور واشراط الساعة وما سيكون يوم القيامة من الصراط والميزان والجنة والنار وتخليد أهلهما فى النعيم والعذاب الاليم.

فان جميع ذلك حق يستسلم المسلم له ويدين به صاحب الدين على حسب ما هو عليه. لا على حسب ما يتوهمه من لم يصل اليه ممن هو رهين هذه الحياة الدنيا.

واعلم يا أخى وعلم اخوانك من المؤمنين ان اليوم الآخر وجميع ما فيه من الموت إلى ان يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، مما وردت به الأخبار الصحيحة، حق لا شبهة فيه يفترض الايمان به من غير تصور ولا تخيل لشىء منه. ولان ذلك خارج من معقولنا الدنيوى ومحسوسنا ونحن نعلم قطعا انا فى عالم الدنيا. والدنيا غير الآخرة.

وقد ورد فى السمع عن الصادق صلى الله عليه وسلم أمور توصف بها الآخرة على خلاف أمور الدنيا كخبر الصراط ومرور الناس عليه. وخبر الميزان وتجسيم الأعمال ووزنها به ووصف احوال أهل الجنة والنار لاسيما وقد قال تعالى (وان عليه النشأة الاخرى) أى خلقة أخرى غير هذه النشأة الدنيوية.

والمنام اكبر عبرة فى ذلك فان النائم يرى فى منامه أنه مشى

وتكلم واكل وشرب ويرى قصورا وبساتين وناسا ونحو ذلك. ثم إذا استيقظ رأى عالما غير العالم الذى كان فيه وهو نائم. ويعلم أن جميع ما كان يتوهمه وهو نائم من أحوال عالم اليقظة أمور صادرة على خلاف ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم «الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا». وكذلك المؤمن فى الدنيا اذا انتقل الى الآخرة وجد مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما ورد فى لفظ الحديث

والحاصل أنه لابد من الأيمان بالغيب فى أحوال الآخرة. والآن ربما استبعد العبد شيئا من ذلك حيث لم يدركه بعقله فحول يقينه الى الظن وربما وصل الامر الى جحود شىء من ذلك فيكفر والعياذ بالله تعالى. فان سبب كفر الفلاسفة والدهريين. وسائر الفرق الضالة والزائغين لتحكمهم بالتفهم العقلى على مالا يمكن أن يدرك بالعقل كانسان بيده الميزان الصغير الذى يوزن به الذهب. فالتزم أنه لا يصدق بثقل شىء الا بوزنه له به. فاذا عرضت عليه صخرة من الصخور أو جبل من الجبال واخبر بثقل ذلك حاول أن يدخل ذلك فى ميزانه فلم يمكنه لعظم ما أخبر به واحتقار ميزانه. فعند ذلك تتميز السعادة من الشقاوة فاما السعيد فينسب العجز عن ذلك لميزانه ويؤمن بما اخبر به ايمانا بالغيب فيدخل تحت قوله تعالى (هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب). وأما الشقى فينسب الذى اخبر بذلك الى الكذب ويسىء ظنه بربه وينتصر لميزانه ويوثقه ويعتمد عليه. فيلتحق بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم

يحسبون أنهم يحسنون صنعا والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

والقسم الثانى : مما يستسلم اليه المسلم ويدين له صاحب الدين انشاءات شرعية نزلت بها الكتب وأرسلت بها الرسل أيضا . وهى الشرائع المختلفة التى تعبد الله تعالى بها جميع الأمم . لكل أمة شريعة وقد نسخ بعضها بعضا حتى ظهرت شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فنسخت جميع الشرائع التى قبلها وهى باقية ان شاء الله تعالى الى آخر الزمان . فالاسلام الانقياد اليها . والدين الاذعان لها ان فهمت معانى احكامها . وان لم تفهم ومتى نازع العقل شيئا منها أو اعترض الفهم على حكم من أحكامها كان ذلك ذريعة إلى الخسران والتفاتا إلى وسوسة الشيطان . بل الذى يتعين على كل مؤمن ان يكون بين يدى الشارع الذى يأمره وينهاه بمنزلة الميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف شاء . فان صاحب الشرع المحمدى أعلم منا بما ينفعنا ومايضرنا . واشفق منا على انفسنا. ونحن له مخلوقون لا لنا ونسأل الله تعالى ان يختم لنا بالحسنى وان يلطف بنا فيما قدره علينا . فقد استودعناه ايماننا واسلامنا وصالح اعمالنا وهو الذى لاتضيع عنده الودائع . وقد استعذنا به من شرور عدونا الرجيم . وشرور نفوسنا . وشرور القواطع التى تقطعنا عن التعلق بجنابه الكريم ونسأله تعالى ان يغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وذرياتنا وأصحابنا واحبابنا ومشايخنا وجميع إخواننا من المسلمين اجمعين .

وان ينفع بما كتبناه فى هذه الصحيفة وكل صحيفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم . ولا يجعل شيئا من ذلك وبالا علينا . ولا حجة تناقض ما لدينا وان يحفظنا من الخطأ والزلل . فى كل قول

وعمل . وان يغفر لنا ذنوبنا ويستر عيوبنا . ويشرح صدورنا . ويوفقنا لما يحب ويرضى إلى ان نلقاه وهو راض عنا .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين . واصحابه هداة الدين . وجميع التابعين بالخير فى كل وقت وحين .

أما بعد (ماتقدم من الكلام)فاعذر ياأخى ان وجدت فى هذه الصحيفة خللا . أو شهدت فيها بعين البصيرة زللا . فان الهدايا على مقدار مهديها . والآنية تنضح بما فيها . ولا يخفى ان الباع قصير . والمتاع يسير . والتجارة من العلوم مزجاة والبضاعة من الفنون قليلة الجاه . وأسألك ياأخى ان لاتقطع مراسيلك معنا ببذل النصائح فان أخوان الصدق من أحسن المنائح . وما كنت اتهجم بهذه المراسلة عليكم . لو لاصريح الاذن بذلك من بعض الاخوان الواصلين من جنابكم . واسألك ياأخى ان لاتنسانى من صالح دعواتك فانى مقصر حقير . والله على كل شىء قدير .

وكتبه بقلمه عبد الغنى بن إسماعيل الشهير بابن النابلسى الحنفى الدمشقى خادم العلم الشريف بجامع بنى أمية المعمور بالطاعة ان شاء الله تعالى . تحريرا فى يوم الجمعة المبارك الخامس والعشرين من ذى الحجة سنة خمس وثمانين والف .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين .

ونجز تحرير هذه الرسالة الشريفة على يد كاتبه المذكور محمد صالح عفا الله عنه نهار الاثنين الرابع عشر من صفر الخير من شهور عام ست وسبعين ومائتين بعد الف من هجرة من نعت باكمل وصف وذلك كان فى الطائف المحروس والحمد لله على ذلك .